مواقعها وفي الحديث المرفوع لكل شي حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى
يعلم ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه رواه احمد ففي ذلك
حث على التفويض والتوكل على الله سبحانه ونفي الحول والقوة عن السوى مع
شهود انه سبحانه هو الفاعل لما يشا وان ما قضاه وابرمه لا يمكن ان يتعدى
حل المقدر له وهذا راجع الى قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها الاية وانما قلنا هذه الجملة
واسطة عقد هذه الوصية لان ما قبلها وما بعدها مفرع عليها راجع
اليها فان من علم انه لم يصيبه الا ما كتب له من خير او شر وان اجتهد
الخلق كلهم بخلاف المقدور لا يجدي شيا البتة علم انه سبحانه
هو المعطي المانع الضار النافع فافرده بالطاعة وحفظ حدوده وخافه
ورجاه واحبه وقدم طاعته على طاعة خلقه كلهم وافرده بالاستعانة
والسوال والتضرع اليه والرضى بقضايه حالتي الشدة والرخا والمنع
والعطا قوله واعلم ان النصر مع الصبر الخ وجه مناسبتها لما قبلها انه لما
ذكر في سابقها تصريف الاقدار وان كل شي بمقدار نبه صلى الله عليه وسلم
على ان الانسان لا سيما الصالحون في التقدير الالهي معرضون للمحن والمصايب
وطروق المنغصات والمتاعب فينبغي للانسان ان لم يقم بمقام الرضى
ان يتحلى بالصبر على مر القضا وينتظر وعد الله على ذلك فانه وعد ان
عليهم صلوات الله ورحمة وانه مهتد وروى الترمذي ان الله تعالى اذا احب
قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقوله ان النصر مع
الصبر اي النصر على اعدا دينه ودنياه انما يوجد مع الصبر على طاعة مولاه
وعن معصيته فهو سبب للنصر قال تعالى والله مع الصابرين اي بالاعانة
وفيه الحث على التوكل على المولى والخروج من الحول والهوى ومن ثم
كان الغالب على من انتصر لنفسه عدم النصر والظفر وعلى من صبر واضى
بعلم الله وحكمه تعجيلها له كما هو المعهود من مزيد كرمه واحسانه
قوله وان الفرج مع الكرب اي ان الخروج من الغم يحصل سريعا
وهو الغم الذي يأخذ بالنفس فينبغي لمن نزل به ان يكون صابرا محتسبا
راجيا سرعة الفرج مما نزل به حسن الظن بمولاه في جميع احواله فانه ارحم
به من كل راحم حتى من ابويه وفيه ان المحن من ابواب المنح كما يدل عليه
قوله وان مع العسر يسرا على ان في المحنة تعرفا للعبد بوصف الجلال
كما ان في المنحة تعرفا بوصف الجلال كما قال من قال اذا اعطاك اشهدك
بره واذا منعك اشهدك قهره فهو في كل ذلك مقبل عليك ومتعرف باحسانه
اليك قوله وان مع العسر يسرا اي السهولة ومنه اليسار للغنى لانه
تسهل به الامور ويقال لليد اليسرى لبقايها على اليسار وان الامور تسهل

بمعاونتها

بمعاونتها لليمنى والعسر نقيضه قال الجوهري كل ثلاثي اوله مضموم واوسطه ساكن
من العرب من يثقله ومنهم من يخففه ووقع في القران مكررا ليعلم انه لا يوجد
الا معه يسران وقد جا عنه صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين وروى
ذلك عن جمع من الصحابة ووجهه ما قاله الزمخشري في الكشاف ان
يسرا وقع منكرا للتعظيم فيغاير الاول لان النكرة المعادة غير الاولى والعسر
ورد معرفا فيكون للعهد او الجنس فهو واحد على التقديرين وقد نظم
بعضهم هذا المعنى فقال

اذا اشتدت بك البلوى • ففكر في الم نشرح
فعسر بين يسرين • اذا فكرته تفرح

ومن لطايف اقتران الفرج بالكرب والعسر باليسر ان الكرب اذا
اشتد وتناهى ايس العبد من جميع المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده
وهو حقيقة التوكل قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ثم العسر
المثبت في هذا الحديث كالاية غير المنفي في قوله تعالى يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر لان المثبت هو العسر في العوارض الدنيوية التي تطرق
العبد فما لا يلايم نفسه من ضيق الارزاق وتوالي المحن والفقر والفتن
والمنفي هو العسر بالتكليف بالاحكام الشاقة قال تعالى وما جعل
عليكم في الدين من حرج ثم ما قرن فيه مع في محالها الثلاثة من انها على بابها
هو الظاهر اذا واخرا اوقات الصبر والكرب والعسر هي اوايل اوقات
النصر والفرج واليسر فقد تحققت المقارنة بينهما ثم الحديث باعتبار
طريقه حديث عظيم الموقع واصل كبير في رعاية حقوق الله تعالى والتفويض
لامره والتوكل عليه وشهود توحيده وتفرده وعجز الخلق وافتقارهم
اليه وبهذا التقرير يصح ان يدعى في هذا الحديث انه نصف الاسلام
بل كله لان التكاليف انما تتعلق بالله او بغيره وهذا فيه بيان جميع ما
يتعلق به تعالى صريحا وبغيره استلزاما على ان ذلك كله مفهوم من اول
جملة فيه وهي احفظ الله يحفظك وفيه ايضا التصريح بجمل مستكثرة مما
يتعلق بحقوق الادميين المشار اليها بذكر الصبر وما بعده وقد اورد الكلام
بذكره من ان رجاله كلهم دمشقيون قوله ونسال الله الكريم خاتمة الخير
اي بالوفاة على الاسلام مع الفوز برضى الملك السلام وما احسن ما قيل

ان ختم الله بغفرانه • فكل ما لاقيته سهل

وتقدم في حديث ابن مسعود ان حسن الخاتمة ناشي من حسن السابقة وان
الاعمال امارات على شان الانسان والله المستعان قوله ابن صصري
بكسر الصاد الاولى والرا وسكون الصاد الثانية وحروفه كلها مهملة قوله
الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن قال الفاسي في كتاب ذيل التقييد

Copyright King Saud University